هل تنتصر أمريكا فى الحرب على جبهات متعددة ؟

والدن بيللو

بعد أكثر من ثمانية أشهر من شن حرب كوكبية ضد الإرهاب ، أصبح من الواضح بشكل جلى أن الولايات الأمريكية متورطة فى صراع ممتد لا رحمة فيه ليس من السهل الإنسحاب منه .

سعيا منها بالاحتفاظ بقوة دفع حربها ضد الإرهاب بعد أن أعلنت «الانتصار» على أفغانستان فى بداية يناير ، أرسلت الولايات المتحدة قوات عسكرية إلى الفلبين فى الشهر نفسه للمساعدة فى تعقب واصطياد جماعة قاطع الطريق «أبو سياف» المرتبطة بشبكة «القاعدة» التى يقودها «أسامة بن لادن» .

بينما كانت واشنطن تناقش فيما بين يناير ومارس قضية بالغة الأهمية : ما إذا كان سيتم إقصاء «صدام حسين» أم لا .. كانت الفلبين ، المستعمرة السابقة ، تبدو اختيارا مناسبا لمد الحرب ضد الإرهاب .

لكن الحقيقة ، على نحو ما رأت الزمرة المؤيدة لغزو العراق ، بدت واضحة ، فالاجتياح الإسرائيلى الهمجى للضفة الغربية طغى على الحسابات الأمريكية ، التى تعتمد على افتراض الدعم السياسى من البلدان العربية المؤيدة للولايات المتحدة الأمريكية .

تبرير أم رفض ؟

فى الوقت نفسه ، بعد ما يقرب من ثلاثة أشهر ، تشير واشنطن إلى الفلبين باعتبارها «جبهة ثانية» ، حيث يواصل حوالى ٦٠ إلى ٨٠ من عصابة «أبو سياف» مراوغة ستة آلاف من القوات المسلحة الفلبينية المدربة على يد ١٦٠ مستشاراً أمريكيا فى الجزيرة الصغيرة الواقعة على المحيط الهادى .

علاوة على ذلك ، فإن وقائع الحملة الأفغانية التى تسربت بعد الإطاحة بطالبان أفسدت حالة الانتصار التى سادت فى ديسمبر الماضى . الفكرة أن الاستراتيجية القتالية الجديدة القائمة على الضربات الجوية الكثيفة والبالغة الدقة مع استخدام محدود للقوات الأرضية التى أكدت أفغانستان صحتها ، أصبحت الآن أقل إقناعاً . فقد مات الآلاف من المدنيين بسبب أن القنابل أقل إحكاماً ودقة فى إصابة الأهداف، وأن عشرات من حلفاء الولايات المتحدة كانوا أهداف للقنابل وقتلتهم القوات الأمريكية اعتماداً على معلومات خاطئة . كذلك فإن اعتماد الولايات المتحدة على المرتزقة الأفغان فى القتال على الأرض ، أصبح الآن مفهوما للبعض فى البنتاجون ، أنه قد أدى إلى هروب «أسامة بن لادن» من جبال «تورا بورا» . وحينما

اشتبكت القوات الأمريكية فى القتال عن كثب مع قوات طالبان – القاعدة خلال «عملية أناكوندا» ، التى حدثت ف منطقة «شاه إى كوت» بالقرب من باكستان ، فى بدايات شهر مارس ، تلطخت بدماء «الأنكودا» و «لم يكن ثمة ما يمكن للبنتاجون أن يفخر به» .

ورغم أنها لم تحقق هدفها الأساسى بالقبض على «بن لادن» أو الإجهاز على شبكة «القاعدة» ، إلا أن واشنطن لا زالت تعتقد أنها تملك المبادرة الاستراتيجية . علاوة على ذلك ، تبدو واشنطن فى حالة مرضية ، تدفع بنفسها فى حرب متعددة الجبهات لكنها غير قادرة على تحقيق انتصار يعتد به على أية جبهة .

كذلك ، فإن قوة الدفع مفقودة على الجبهة السياسية . وبينما تتراجع كثافة الحملة العسكرية فى أفغانستان ، أدخلت الأمم المتحدة للوساطة بطرح تسوية سياسية تبشر بديمقراطية نيابية ، وتم جرجرة الاتحاد الأوروبى ليقوم بحفظ السلام من خلال قوة طوارئ مسلحة تقودها بريطانيا . علاوة على ذلك ، بدى واضحا أن السلطة المركزية التى كانت تشكلها «طالبان» قد ولت لتهمين بدلاً منها القيادات العسكرية المحلية على أنحاء مختلفة من البلاد ، ويتزايد دور قوات الأمن فى منع الشركاء السابقين فى تحالف الشمال من الإقتتال فيما بينهم . لذلك ، فإن «المستنقع» هى الكلمة الأكثر استخداما فى الصحافة الأمريكية لوصف الحالة الأفغانية .

هذا بينما يعيش جيران أفغانستان فى الفوضى ، الجنرال الباكستانى «مشرف» بلا استقرار وبلا شرعية بسبب الضغط الأمريكى الذى فرض عليه التزام جانبها فى الحرب ضد الإرهاب .

والآن ، قد يكون نفوذ الأصوليين الإسلاميين فى أوساط السكان أعظم منه قبل ١١ سبتمبر ، والعربية السعودية تموج بالغضب والسخط ، وتواجه واشنطن موقفا بغيضا ، حيث تتولى القيام أساساً بدور القوة البوليسية التى تحول بين النخبة السعودية التى تتزايد عزلتها وبين الشباب المتململ الذى يثمن «بن لادن» باعتباره بطلاً .

إن ميل واشنطن تجاه إسرائيل ، لا يساعد على دعم شرعية حلفاءها من العرب فى نظر شعوبهم . إسرائيل هى المفسد الكبير للجهود الأمريكية لإدارة شئون الشرق الأوسط ، ومن الممكن أن تتعرض إسرائيل لعواقب وخيمة لأنها قد يمكنها الاعتماد على تأييد الكونجرس الأمريكى الضخم لها فى الحد من ضغوط المسئولين فى الإدارة الأمريكية ، بينما التحركات الإسرائيلية المصرة على تدمير السلطة الفلسطينية ، يبدو ومن الواضح الآن أنها لا تكترث بما أعلنته واشنطن مؤخراً .

إلى أى مدى يمكـن الإفراط فى التمدد :

فى الواقع ، أن الفشل فى أفغانستان والعناد الإسرائيلى ، اجتمعا ليجعلا الوضع الاستراتيجى لواشنطن فى الشرق الأوسط أشد سوء ، ولم تجن أية مكاسب سياسية أو عسكرية فى جنوب شرق آسيا ، مع احتفاظ أندونيسيا بمسافة بعد عن واشنطن ، كما أصبح توغل الولايات المتحدة فى الفلبين تورط بلا نهاية ، أشبه بتورطها فى فيتنام . وقد يبدو من الظواهر أن تقدم القوات الأمريكية فى جورجيا وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، يبدو إضافة استراتيجية خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار احتياطيات الطاقة فى المنطقة ، لكن ، فى ظل العجز عن تحقق انتصار عسكرى أو سياسى حاكم فى أى جبهة ، فإن انتشار الجنود الأمريكيين فى آسيا الوسطى قد يكون بالفعل تمديد للنفوذ الإمبريالى الأمريكى ، لكن ثماره الاستراتيجية الحقيقية تبدو محدودة .

لا يثير الدهشة وجود أصوات تتساءل الآن فى واشنطن عما إذا كانت الولايات المتحدة تمتلك القوات والثروات الكافية لتحمل عواقب القتال فى حرب متعددة الجبهات . حتى إذا أدى غزو العراق إلى الإطاحة بصدام حسين ، فلن يكون سوى تفاقم لمأزق الإفراط فى التمدد ، فمنذ التدخل فى العراق للمرة الأولى ، ومثلما هو الحال فى أفغانستان ، هناك مأزق سياسى ضخم نجم عن هذا التدخل وليس من السهل الخروج منه . فى هذا الصدد ، كان لبول كنيدى قول مأثور عن المأزق الذى يواجه واشنطن : «التمدد الأمبريالى» .

فى الحقيقة أن المرء قد يندفع إلى القول بأن هناك تشابه تاريخى بين خلق الولايات المتحدة الأمريكية لجبهات جديدة ضد الإرهاب ، وبين الوثوب اليابانى عبر جنوب شرق آسيا والباسفيك فى الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٤٢ . فقد تمكنت اليابان من السيطرة على قطاعات واسعة من المنطقة ، لكن ثمن التمدد كان قوة الإمبريالية اليابانية ذاتها . فقد أدى خلق اليابان لجبهات كثيرة ، إلى عدم تمكنها من تركيز قواتها واهتمامها بقطاعات استراتيجية قليلة .

الخاسرون :

حتى الآن ، ليس هناك فائزون فيما يسمى بالحرب ضد الإرهاب ، لكن هناك خاسرون واضحون . أحدهم «طالبان» . أما ثانى أكبر الخاسرين فهى الديمقراطية الليبرالية فى الولايات المتحدة . حتى فى سنوات الحرب الباردة لم تبرز مثل هذه الشمولية التى برزت فى «الحرب ضد الإرهاب» حيث تصدر قوانين وأوامر تنفيذية على وجه السرعة ، تقيد حقوق السرية وحرية الحركة إلى درجة يحسدهم عليها «جون مكارتى» . لم تكن الولايات المتحدة قد مر على دخولها الحرب أكثر من

ثلاثة أشهر حينما صدرت التشريعات ، ووقعت الأوامر التنفيذية التى أقامت محاكم عسكرية سرية لمحاكمة المدنيين غير الأمريكيين ، وفرضت الشعور بالإثم على المهاجرين، وبذلت جهود ضخمة لتعقب ثمانية آلاف من الشباب المسلمين ، وحصل النائب العام الأمريكى على سلطات للقبض على الأجانب لمجرد الاشتباه وحبسهم لفترات غير محددة ، والتوسع فى استخدام وسائل التصنت على التليفونات والرسائل والاستقصاءات ، السرية ، والسماح باستخدام أدلة سرية فى الدعاوى القضائية الخاصة بالهجرة لا يستطيع الأجانب أن يواجهوها أو أن يدافعوا عن أنفسهم إزاءها ، وأعطت وزارة العدل السلطة لنقض الأحكام القضائية الصادرة بحق المهاجرين ، وانتهاك حرمة العلاقة السرية بين المحامى والمتهم بواسطة السماح للأجهزة الحكومية بالتصنت عليهم ، ومأساة العنصرية والتعصب العرقى .

يتيه الأمريكيون بأنفسهم فى أحوال كثيرة بأن لديهم نظام سياسى يولى أهمية قصوى للحرية الشخصية ويحميها ، وفقا لرؤى «جون لوك» و «توماس جفرسون» . لكن فى الأشهر القليلة الماضية ، تراجعت التقاليد المنسوبة للوك وجفرسون ، كما يجبر الأمريكيون على منح الحكومة سلطات واسعة جديدة على حساب الحريات الشخصية بدعوى ضمان النظام والأمن . بدلاً من التحرك نحو المستقبل ، تتراجع الديمقراطية الأمريكية المحدودة على أفكارها وروحها المستوحاة من «لوك» فى القرن السابع عشر إلى «هوبس» وروح الديمقراطية فى القرن السادس عشر . حيث نموذج الدولة الديكتاتورية فى العصور الوسطى التى يدين لها المواطنون بالولاء مقابل حمايتهم من الأخطار التى تهدد حياتهم .

أن المدى الذى وصل إليه قبول محاولات تقليص الحريات التقليدية يتضح خلال استماع مجلس الشيوخ «لجون أشكروفت» النائب العام الأمريكى حينما قال أن المنتقدين للإجراءات الأمنية التى تتخذها إدارة بوش كانوا يبيعون الخوف ، وأضاف أن «من يروع الشعب المحب للسلم بأشباح فقد الحرية ، يساعد الإرهابيين» . الحقيقة أن أعضاء مجلس الشيوخ من الليبراليين والديمقراطيين الذين يعارضون هذه التعليقات لم يواجهوا بشجاعة ولم يوضحوا كيف أن المحافظين يستغلون الصراع ضد الإرهاب كأداة لكسب الحرب الحقيقية فى الداخل ، حيث تدور الحرب ضد الليبراليين والتقدميين . مؤخراً فقط ، بدأ الديمقراطيون يتحدثون ضد تقليص الحريات المدنية ، وعن تخوفاتهم من ذلك .

فى النهاية ، بعد أكثر من ستة أشهر من أحداث ١١ سبتمبر ، تعجز الولايات

المتحدة عن تحقيق انتصار حاسم فى الحرب ضد الإرهاب ، وقد تجد نفسها الآن فى وضع استراتيجى مفرط فى التوسع والانتشار .

من المفترض أن دور الشرق الأوسط كمصدر أساسى للنفط قد ازداد . غير أن الأشهر القليلة الماضية شهدت إفلات إسرائيل من العقوبة وتمتعها بالحصانة رغم ممارساتها ضد الفلسطينيين . بينما يتحول جنوب شرق آسيا إلى ثقب أسود استراتيجى يبتلع القوة البشرية العسكرية الأمريكية أكثر فأكثر . ولكن ، إذا لم يكن هناك رابحون واضحون ، فإن هناك خاتسرون واضحون : فبالإضافة لطالبان ، هناك خسائر الحريات المدنية والديمقراطية فى الولايات المتحدة ، وذلك ما يدعو للأسف والرثاء .

النص الأصلى للمقال على موقع WWW.FOCUSWEB.ORG

تحت عنوان : WASHINGTON: TRIUMPHANT OR OVERXTENDED ?

obeikandl.com